

أقوال

صنعت كباراً..
وغيرت التاريخ

إعداد: علي الطاهر عبد السلام



إلى من زرع فيَّ بذرة الحرف ، فجنى من ثماره هذا الكتاب

أخي محمد

تقديم

قال صلى الله عليه وسلم :

الحكمة ضالة المؤمن

مقدمة

الحمد لله حمداً كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه ، والصلاة والسلام على من خصه بفضله وبيانه ، محمد المصطفى الأمين جوهر الحق وريحانه ، وعلى آله وصحبه وسلم .

أما بعد :

فيجدر بنا أن نستقصي الحكمة أينما وجدت ، كما قال عليه السلام ، الحكمة ضالة المؤمن ، وعملاً بهذا الحديث كان الرأي أن أجمع ما وقعت عليه عيني وما قرت به أذني من حكم وأمثال وكلمات مأثورة ، عربيةً وغير عربية ، وصولاً إلى ما نصبو إليه ، لم أزد عن الكتب المعدة في هذا الشأن شيئاً إلا أنني نظرت في طائفة منها فكانت تتناول جميع الحكم في المجالات كافة ، وربما كان في بعضها ما إن نظرنا إليه بعين الناقد لوجدنا أنه ربما يتعارض من القيم الرفيعة ، فلا شك أن الحكم والأمثال دُسَّ فيها كما يدس السم في الدسم ؛ فرأيت أن أجعل هذا الكتاب في الأقوال التي من شأنها أن ترفع الهمم وتعلي النفوس ، والتي تغير بالانسان إذا ما سعى لتغيير نفسه ، قال تعالى : (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) ، وترتقي بالمجتمع إذا ما كان الهدف هو الرقي بالمجتمع ؛ إذ إنها نتاج خبرات الشعوب وتجارب عظماء التاريخ ، ورواد الحضارات ، لو نظرنا إلى ما بين دفتي هذا الكتاب من أقوال لوجدنا أن بعضها كانت الشرارة لتغير حياة بعض العلماء ، أو كانت البذرة لإبداعٍ نما يوماً بيومٍ حتى صار إنجازاً أو اختراعاً أو منهجاً أو نظرية ، أو تفوقاً ونبوغاً ، أو صلاحاً ورشاداً ، فكم من العباقرة أو العلماء كان السبب في تغييرهم حكمة أو قول مأثور ، أو بيت شعر يحمل معناً ذا بعد وأفق . وكم من مخترعٍ حمله على التجريب والاختراع كلمة ، أو حكمة . وليس المعنى أن هذا الكلمة أو تلك أو هذا القول والمثل أو ذاك إنما يحدث التغيير للوهلة الأولى ، فلربما يجني المرء ثمار هذه الكلمات بعد أعوام ، غير أن المنطلق من تلك الحكمة أو هذا القول أو المثل .

قسم هذا الكتاب إلى مساحات ، فبعد تجميع الحكم والأقوال رأيت أن أبسط لها بتقديم ، أو توجيه " إن صح التعبير " ، وما هذا ببعيد عما قدمه شهاب الدين الأبشيهي في المستطرف ، وأوردت بعد ذلك الأقوال دون توجيه ، ليطلق معها القارئ قلبه وعقله

بالبسمة تستطيع أن تتعدى حدود القلب ، إلى أيِّ قلب ، ولربما حققت بالبسمة ما عجزتَ عن تحقيقه بغيرها **ابتسم فإن اليوم خير من الأمس والغد خير من اليوم ،** والله جميل يحب الجمال ، ولا يعني هذا أن لا نفي من لم يحظ من الجمال بقدرٍ يؤهله لأن يكون جميلا، فما عليك إلا أن تقدم البسمة ؛ **ابتسامك لقبيح أدل لمروءتك من إعجابك بجميل ،** وليكن إعجابك بعام الأمور بين بين ، وليدم قلبكَ ملازماً للصواب ، وإن جانبه قليلاً فلا يكن منه على بعدٍ وتجانبٍ بيِّنين ؛ **فأجهل الناس من قل صوابه وكثر إعجابه** ، وإياك أن تثنيك الشدائد أو أن يوهنك الإخفاق ، وليكن إخفاقك الخطوة الأولى لنجاحك ، فلا خجل من أن تخفق في شيء ؛ذلك أن **الإخفاق أساس النجاح والشدائد تخلق الرجال ،** وليكن اعتيادك الشدائد ديدنك ، فقد قيل :

إذا اِعتادَ الفَتى خَوضَ المَنايا

فَأَهوَنُ ما يَمُرُّ بِهِ الوُحولُ

وتحرى الوسط في أمرك كله ، وإذا طلبت من غيرك أمراً فليكن أمرك وسطاً ؛ **فالمطاع يأمر بما يستطاع ، وإذا أردت أن تطاع فسل ما يستطاع ،** أما التعاون فما اختلف عليه اثنان ؛وقد أمرنا ربنا عز وجل بالتعاون قائلاً : (**وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى) المائدة 2**

وقد قيل :

إذا العِبْءُ الثقيلُ توزَّعَتْهُ

رقابُ القومِ خفَّ على الرِّقابِ

واعلم أن **من شيم الكرام الاعتراف بالإكرام** وعلى الإنسان ألا يجحد معروفاً قدم له ، وأن يجعل لموضع الإحسان في قلبه إكباراً لفاعله ، ولتكن نفسه أرض خصبة ينبت فيها الفضل ويثمر ،

إِذا أَنتَ أَكرَمتَ الكَريمَ مَلَكتَهُ

وَإِن أَنتَ أَكرَمتَ اللَئيمَ تَمَرَّدا

،والعقل إذا ما اكتمل وتم فإن ذلك يعود بالنقص على الكلام **إذا تم العقل نقص الكلام** ، ويقصد بنقص الكلام أن القائل الكيِّسَ العاقل يعرف موطن الكلمة فلا يتكلم قبلها ، ويعرف عدد كلماته فلا يتجاوزه ، إذ إن كل كلمة لم تفد المعنى وضوحاً ولم تعطه إجادة كانت زائدة ، وكل كلمة إذا ما حذفت من الكلام وظل الكلام مفهوماً والمعنى المراد واضحاً كانت تلك الكلمة زائدة وعبئاً على الجملة والكلام ، وإذا أردت السلامة والصيت الحسن فعليك بأربعة أشياء : **احفظ لسانك ، وصن عينك عن تتبع غيرك ، وعاشر بما يحمد ، ودافع بالتي أحسن** يكن لك الفوز ؛ فقد قيل :

إذا رُمتَ أَن تَحيا سَليماً مِنَ الرَدى

وَدينُكَ مَوفورٌ وَعِرضُكَ صَيِّنُ

فَلا يَنطِقَن مِنكَ اللِسانُ بِسَوأَةٍ

فَكُلُّكَ سَوءاتٌ وَلِلناسِ أَلسُنُ

وَعَيناكَ إِن أَبدَت إِلَيكَ مَعائِباً

فَدَعها وَقُل يا عَينُ لِلناسِ أَعيُنُ

وَعاشِر بِمَعروفٍ وَسامِح مَنِ اِعتَدى

وَدافِع وَلَكِن بِالَّتي هِيَ أَحسَنُ

وإياك أخي القارئ وسوء الظن فإنه دليل على سوء فعالك ونيتك ، وما حملك على مثل هذا الظن إلا أنه بنفسك ما يوافق هذا الظن ، ثم إنك به تفقد صحابك ومن تخالطهم فقد قيل :

إِذا ساءَ فِعلُ المَرءِ ساءَت ظُنونُهُ

وَصَدَّقَ ما يَعتادُهُ مِن تَوَهُّمِ

وَعادى مُحِبّيهِ بِقَولِ عُداتِهِ

وَأَصبَحَ في لَيلٍ مِنَ الشَكِّ مُظلِمِ

،وانظر أخي إلى الأمور والشدائد بعين المترقب الذي ينظر تبدلاً وتغيراً ، فلا الشدائد تدوم ولا النعيم يبقى ، ولا يستمر أمر بحال ،

إذا تَمَّ أَمرٌ بَدا نَقصُهُ

تَوَقَّ زَوالاً اِذا قيلَ تَمّ

وقيل :

اشتدي أزمةُ تنفرِجي   قَد آذَنَ لَيلُكِ بِالبَلَجِ

فلما التجهم ، ولما انقشاع البسمة عن الوجوه ، دع البسمة ملازمة لك ولكل أمورك ، يقول أهل الصين : **إذا كنت لا تستطيع الابتسام فلا تفتح دكاناً** .

أخي القارئ الدنيا مسرح ، و لكلٍ منا دور فيه ، فإذا لم يكن لك دور به كنت زائداً عليه ، فاختر لنفسك دورك ووجودك ، **إذا لم تزد شيئاً على الدنيا كنت أنت زائداً على الدنيا** ، وانظر إلى الماء وخذ حكمتها في مسيرتها ، فإذا ما اعترضها سد أو عائق ، غيرت اتجاهها لغيره ، وإذا لم تستطع إلى غيره سبيلاً اعتلته .

إذا لم تستطع شيئاً فَدَعهُ   وَجاوِزهُ إِلى ما تستطيعُ

ولا تحجبك العراقيل عن نيل مبتغاك ، فأنت بطموحك تسمو

إذا مَا طَمَحْتُ إلى غايةٍ   رَكِبتُ المنى ونَسيتُ الحَذرْ

وربما يتساوى الناس في العلم والمعرفة والقوة ، ولا يتساوون في الأسلوب ، فاحرص على أن يكون أسلوبك راقياً في كل موضع ، فالأسلوب هو الدال على علمك ومعرفتك وقوتك ، و**الأسلوب لباس الفكر** ، والجهل مصيبة ،ما في ذاك موضع جدال وخلاف بين الناس ، غير أنها ـ أي مصيبة الجهل ـ تتفاوت تبعاً لصاحبها ، **فأسوأ مصائب الجهل أن يجهل الجاهل أنه جاهل** .

والكيس من عرف لنفس صديقه طريقاً قبل أن يتصادقا حتى لا تأتي المعرفة متأخرة فيصدم هذا أو يفتتن ذاك

أُصادِقُ نَفسَ المَرءِ مِن قَبلِ جِسمِهِ

وَأَعرِفُها   في   فِعلِهِ   وَالتَكَلُّمِ

وحبب إلى نفسك المعروف ؛ **فاصطناع المَعروف يَقي مَصارع السُّوء** وكن على يقين بانفراج الكرب وبالوصول إلى البغية :

أعلِّلُ النفس بالآمالِ أرقُبُها

ما أضيقَ العيشَ لولا فسحةُ الأمَلِ

ولكل منا في دنيانا مسلك ، نحاول غيره فلا نتوفق ، فنتذكر" **اعملوا فكل ميسر لما خلق له** " ، واجعل الديمومة في أعمالك طريقا إلى وصولك مرامك ، **فأحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل** ، واختر لنفسك أحد أمرين : أن تعيش مبغوضاً ، أو تموت محبوباً ، وإن اخترت الأولى فليست تلك بحياة ، وإن طالت ، **أموت محبوباً خير لي من أن أعيش مكروهاً** ، وليحرص أحدنا على أن يأكل من كسبه **فإن أطيب ما أكلتم من كسبكم** ، ولا يكون الكسب من السهولة بمكانٍ دائما ، فعلى الإنسان أن يتعب ويجد في كسبه ، وعليه أن يركب المشاق ،ويخاطر بما يملك ؛ لنيل ما يصبو إليه ، وإلا فلا كسب ولا امتلاك ، **إن لم تخاطر بشيء فلن تملك شيء ا**، وإذا لم تبلغ ما تصبو إليه فليس ذلك نهاية العالم ، ونهاية الطموح والحلم ، فلربما كان قصورك عن الوصول هو الخير كله ، **أنت تشاء وأنا أشاء والله يفعل ما يشاء ، فإذا لم يكن ما تشاء فارض بما هو كائن ، فعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم** ، وثمة مطية أخرى للإنسان وهو اللسان مطية المرء ، **أنت سالم ما سكتت . فإن تكلمت فلك أو عليك** .

أخي القارئ هناك نوعان من المتعلمين : أنصاف متعلمين ومتعلمين ، **وأنصاف المتعلمين أخطر من الجهلاء** ، أما التصميم والإرادة فهما المعول الذي تستطيع به أن تخرق جبلا ، **وإنك بالإبرة تستطيع أن تحفر بئراً** ؛ ذلك بإرادتك ومثابرتك .

ليس في علاقاتنا التي نحياها أفضل من معاشرة جميلة **فبحسن المعاشرة تدوم المحبة** ، وتعاونك مع أخيك على التخلص من عيوبه إنما هو عين العقل ، ولب الصداقة ، وما نفع المرء لأخيه إذا لم يرشده لزلله ومعايبه ؛ لأجل تفاديها لا لأجل إثباتها ، **إنما أحدكم مرآة أخيه فإذا رأى عليه أذى فليمطه عنه** ، والتجمل بالصبر من شيم الرجال ، لكن متى الصبر ، الصبر عند الشدائد ، لا سيما الصدمة الأولى ، **إنما الصبر عند الصدمة الأولى** ، ومهما كان حجم الشدائد فلا تفوق الصابرين عندها ،

إنما تصغُر الخُطوب لدى القو م إذا كانت النفوس كبارا

وقيل :

إني رأيت وفي الأيام تجربة

للصبر تجربة محمودة الأثر

وقل من جد في أمر يطالبه

فاستصحب الصبر إلا فاز بالظفر

والصبر من فضليات الشيم ومحاسن الأمور، وليس من السهل التحلي به ، **بذور الصبر مرة ولكن ثماره حلوة** ، فاحرص على بذرها كي تجني ما رمت من ثمار ، لتكون ذا رأي سديد

وما كل ذلك إلا بعقل المرء ورأيه وحزمه وخوضه التجارب ، ولا دليل على رجحان عقل المرء إلا من خلال ما شهده الناس منه في المواقف والشدائد ، **إنما يستدل على عقل المرء وخلقه بعمله** ، ولو أردنا تعريف ذلك لم نجد غير الفضيلة اسماً ، **وأول عناوين الفضيلة التضحية بالنفس** .

أخي تحر الأمل واطرد التشاؤم ، واحرص على أن تكون نفسك جميلة ، وأن ترى من زاوية كلها بشرى وظنون خيِّرة ، فلن تجد غير هذا ؛ فقد قيل :

أيهذا الشاكي وما بك داء كيف تغدو إذا غدوت عليلا

إن شر النفوس في الأرض نفس تتوقى قبل الرحيل الرحيلا

وترى الشوك في الورود وتعمى أن ترى فوقها الندى إكليلا

والذي نفسه بغير جمالٍ لا يرى في الكون شيئاً جميلا

أيهذا الشاكي وما بك داء كن جميلا ترى الوجود جميلا

يتحلى المرء بحس الظن ، ويتجمل بالتفاؤل ، غير أنه لا يركب مطية الأمل دون أن يَجِدَّ في سعيه ، أو أن يثابرَ في نيل مبتغاه ، فلا تدرك الأمور إلا بالإصرار وكثرة المحاولة والتصبر والجد والتخطيط الجيد ، والسهر على بلوغ الغايات ، فإذا نسيت كل هذا فتذكر قول الشاعر :

بقدر الجد تكتسب المعالي ومن طلب العلا سهر الليالي

ومن طلب العلا من غير كدٍ   أضاع العمر في طلب المحال

وإذا تساوى كلامك وصمتك فقدم الصمت ، **فبكثرة الصمت تكون الهيبة** ، وحاذر أن يأخذك الجزع في مصابك أياً كان ؛ فكل ذلك من قضاءٍ كتبه الله عليك ، وبه الخير الكثير ، ولربما رأيت مكروهاً وأعقبه خيرٌ كثير .

تَجري الأُمور عَلى حُكم القَضاء وَفي

طيّ الحَوادِث مَحبوبٌ وَمَكروهُ

فَرُبّما سَرَّني ما بِتّ أَحذَرهُ

وَرُبَّما ساءَني ما بتُّ أَرجوهُ

والحكمة ضالة المؤمن ، ولكن متى تكون الحكمة ، **تسعة أعشار الحكمة أن يكون الإنسان حكيماً في الوقت المناسب** ، ولكل شيء آفة وآفة العلم الغرور ، وبغالب الأمور سوس ، **التشاؤم سوس الذكاء** ، وإذا أردت أن تنتصر فانتصر على نفسك أولاً بعدم ظلمك غيرك ؛ فقد قيل : **تعلمت كيف أكون مظلوماً فانتصرت** ، فإذا انتصرت لا تتكبر، بل اجعل التواضع مسلكك في أمورك كلها ، **التواضع لا يزيد العبد إلا رفعة** ، **لا أعظم من قلب نزيه متواضع** ، ولا يأتي الكبر والترفع على الناس إلا من جهل ، **فالجهل مصيبة** ، فإياك أن يصفك الناس بالجهل و الصغر ، **والجهل مطية ، من ركبها ذل ومن صحبها ضل ، والجهل موت الأحياء** .

كن جواداً تغنم بمحبة الناس ، وإياك والبخل فإنه منقصة للرجل ، **فالجُود محبَّة والبُخْل مَبْغضة** ، واعمل بكل جوارحك ، وتحرى الدقة والإتقان ، إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه ، فلا يكفي عمل اليد بغير العقل ، ولا يكفي عمل العقل بغير القلب ؛ **فالحرفي يعمل بيده ، والمهني يعمل بعقله ، والفنان يعمل بقلبه وعقله ويده** ، وما العمل إلا طريقاً نتخذه وصولاً إلى السعادة ، **فالحكمة اكتشاف مفاتيح السعادة** ، واعلم أنه الحياة هي السعادة ، ولكن أي حياة ، وما هي الحياة التي بمعنى السعادة ، تذكر أنه **إذا كان للحياة معنى فإن للسعادة وجود** ،

عزيزي خير ركاب المرء حكمته ونيته ، **فالحكمة ضالة المؤمن يأخذها ممن سمعها ولا يبالي من أي وعاء خرجت** ، ومن الحكمة أن تحافظ على نفسك باحترامها كي يحترمها الآخرين ؛ **حين تفقد احترامك لنفسك يكون من الصعب على الآخرين أن يحترموك** ، وتحري الصدق أمر مطلوب في كل الشؤون ، فابتعد عن الكذب ، ولو كنت تاجراً فاعلم بأنه قد **خاب وخسر المنفق سلعته بالحلف الكاذب** ، والنجاح يأتي خطوة بخطوة ، غير أن **الخطوة الأولى لتحقيق النجاح هي الاستيقاظ من الأحلام ،** وكن ثابت الخطى وتيقن أن ثمة **خطوة واحدة بين النصر والخذلان** ، واعلم أن الكيس لا يخطو خطوة إلا أن تكون على نهجٍ لا يخالطه ريب ، **خير الرجال من تقيد بأحكام النبوة** ،واستمع لناصحك بتأنٍ وروية ، **فالدين النصيحة** ، والتريث مطلوب ؛إذ **خير للمرء أن يقال عنه جبانا من أن يكون متهوراً** ، على أن المرء يجب أن يكون شجاعاً ، فالشجاعة تاج تتزين به هامات الرجال وتتشرف به قلوبهم ، **الشجاعة عزيزة يضعها الله فيمن شاء من عباده ، إن الله يحب الشجاعة ولو على قتل حية** ، فالزمها **دائماً يقف الحق بجانب الشجعان** ؛ لأن الشجاع لا يحتاج لأن يفعل ما يثبت به شجاعته من ظلمٍ أو نحوه ، **والرجل الذي توفرت فيه الشجاعة بلا استقامة لا يعدو أن يكون قاطع طريق**

وإذا امتطيت الشجاعة فعليك الحذر ؛ **الشجاعة بلا حذر حصان أعمى ،**

وأمامك أمران : إما أن تكون ذا عقل ولربما أعياك بالتفكر ونحوه ، أو أخو جهالة ووصب يصيبك بغياب العقل ، قيل :

ذو العَقلِ يَشقى في النَعيمِ بِعَقلِهِ وَأَخو الجَهالَةِ في الشَقاوَةِ يَنعَمُ

ومن مساوئ غياب العقل أو نقصه فساد الذوق ، **والذوق السيئ يقود إلى المكاره ،** وإياك والجزع إذا تأخر الرزق ، فما دمت حياً فسيرزقك الله من حيث تدري أو لا تدري .

الرِزقُ لا تَكمَد عَلَيهِ فَإِنَّهُ يَأتي وَلَم تَبعَث إِلَيهِ رَسولا

وليتأنى كلٌ في قضاء أموره بحيث لا يجعل العجلة تغلب عليه فيفسد عمله ، وليترفق في طلب أموره وشؤونه ومواقفه

الرِفقُ يُمنٌ وَالأَناةُ سَعادَةٌ   فَتَأَنَّ في أَمرٍ تُلاقِ نَجاحا

وقيل :

الرفقُ يمنٌ وخير القول أصدقه   وكثرة المزح مفتاح العداواتِ

وثمة فلسفة إذا ما عقلها المرء لم تغب عنه السعادة ولم يعجزه نأيها ونفورها ، فعلى المرء أن يطلب السعادة حيث البؤس ، وليحذر من البؤس في رحم البهجة ، **فالسعادة تولد في البؤس ... والبؤس يختبئ في السعادة** ، وعلى المرء أيضاً أن لا يسلم عقله لأفضل ظن ، ويترك ما يوقظ حدسه وتخمينه وفطنته ، عليه أن يشك ، **الشك داء .. لكنه قد يعلم حكمة** ، وتصبر فإن **الصبر والمثابرة يولدان العجائب** ، واعلم أن **الصبر صبران .. صبر على ما تكره ، وصبر على ما تحب** ،وقيل :

لا تَجزَعَنَّ إِذا نابَتكَ نائِبَةٌ   واصبر ففي الصّبر عند الضّيقِ متَّسعُ

إن الكريمَ إذا نابتهُ نائبةٌ   لَم يَبدُ مِنهُ عَلى عِلّاتِهِ الهَلَعُ

واحذر أخي من صحبة الجاهل ، فهو لا يقودك لأمر هو خير لك ، **صحبة الجاهل شؤم** ، واعمل على أن تصون نفسك وتقلب أمورها يميناً وشمالاً كي يكتنفها الحق والأمن ، وإذا لم تفعل فلا تلم غيرك فالنفس أنت مسؤول عنها وبيدك رقيها وانحطاطها وأينما تضع نفسك تجدها :

صُنِ النَفسَ وَاِحمِلها عَلى ما يَزينُها   تَعِش سالِماً وَالقَولُ فيكَ جَميلُ

وإن تملكتك عادات أو ورثتها فاعمل جاهداً على التخلص منها ، وما من أحدٍ إلا له عادات ، حسنها يعتز به ويعلي شانه ، وسيئها يعيبه ويدني مكانه ، فأعمل عقلك في عاداتك ؛ **العادات قاهرة فمن اعتاد على شيء في السر فضحه في العلانية** ، واطلب الحكمة دائماً ، وظن نفسك أنك مفتقدها ؛ **العاقل يجاهد في طلب الحكمة .. والجاهل يظن أنه وجدها** ، وعين الحكمة أن يحفظ الإنسان نفسه ويعزها ، **عز الرجل استغناؤه عن الناس** ، وهذا يتطلب منك الجهد الكبير ، غير أن الثمرة أكبر ، **على قدر الحاجة يكون التعب** ، ولا تتخيل أن التعب للجسد ، فتعب العقل أكبر ، **عظمة الإنسان في فكره** لا في جسمه ، فمرن عقلك على التبحر في خيالات الكون وعوالم الدنا وخفاياها ، وافتح له على العالم نافذة وافتح للعالم في عقلك نافذةً يتعشق نور

الكون مع شذرات عقلك ، **عقلك كالمظلة لا يعمل إلا إذا انفتح** ، وحرر عقلك على قرطاس فيكتب لك من الحرف مدينة ، ومن الكلمة عالم ، ومن الجملة كون ، ومن الكتاب عقل ، عندها تكون قد ملكت زمام العقل ، **عقول الناس مدونة في أطراف أقلامهم** .

وإذا ما نظر الرائي منا إلى نفسه فلن تغفل عينه عن عيب بها ، غير أنه لا يظهر أحياناً لأعين الناس ، **عيبك مستور .. ما أسعد حظك** ، وما لك أخي القارئ من بدٍ في محك الحياة ، حلوها ومرها ، وبيدك الأمر ، فكيف تمهد لها تجدها . واعلم أنه ما أتت الدنيا طيعة لأحد ، فلابد من التضحية والفداء والمثابرة وقوة الإرادة .

غَلَتِ الحَيَاةُ فَإِنْ تُرِدْهَا حُرَّةً كُنْ مِنْ أُبَاةِ الضَّيْمِ وَالشُّجْعَانِ
وَاقْحَمْ وَزَاحِمْ وَاتَّخِذْ لَكَ حَيِّزاً تَحْمِيهِ يَوْمَ كَرِيهَةٍ وَطِعَانِ

ولا خيار ثالث للأنفس الأبية فإما حياة كما تريدها هي أو الموت فخو أكرم . **فأما حياة ...... وأما الفناء أشرف للبشر**

والسعي إلى العلم من أجل الفضائل ، ولا سيما التفقه في الدين ، فمن أراد الله به خيراً يفقهه في الدين ، **وفقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد** ، وتخير أهل النصح ، فإن النصيحة فن يهبه الله لبعض عباده ، كما وهب لبعضهم العقل دون فضيلة النصح ، ولربما اجتمعا النصح والعقل عند واحدٍ فتجب طاعته ، إذ إن بعض الناصحين لا ينصحك بمعروف ، وبعض العاقلين لا يوفق في نصحك .

فَما كُلُّ ذي لُبٍّ بِموتيكَ نُصحَهُ وَما كُلُّ موتٍ نَصحَهُ بِلَبيبِ
وَلَكِن إِذا ما استَجمَعا عِندَ واحِدٍ فَحقٌّ لَهُ مِن طاعَةٍ بِنَصيبِ

وليستجمع كل منا قوته وشدته ، ولكن ربما رجعت عليه هذه القوة بالتحطم ، فليست كل القوة شدة ؛ **قوة الخيزران في مرونته** ،وقيل **لا تكن يابساً فتكسر ولا ليناً فتعصر** ، والكرم خير ما يتصف به المرء ، **فالكريم يحس نفسه غنياً دائماً** ، ولا مكان للكسل مثل ضعاف الناس ؛ فهو ينمو ويترعرع ، تغذيه أوهام وأماني ، **الكسل**

ملجأ العقول الضعيفة ، فاسع لطلب شأنك وتحرر كل دقيقة من الكسل ، واقحم باب الراحة من المشقة ، **لا تدرك الراحة إلا بالمشقة** ، وليكن الرفق واللين ممشاك ، واحرص على أن لا ينطق لسانك إلا حسن الكلام ؛ **الكلام الحسن درع** ، هوه يدل على لباقتك وذوقك الرفيع ، ولا يتأى هذا إلا بشيء لا يكلفك شيئاً ، وهو الإنصات لكلام غيرك ، **كن مستمعاً جيداً لتكون متحدثاً لبقاً** ، وثمة أمر يهد القلوب وهو القلق والجزع على ملمات الأمور ، فعلى الإنسان أن لا يذهب جهده وتفكيره في موقف طارئ أو غير طارئ ؛ لأنه لا يدوم هذا ولا ذاك .

لا تَلقَ دَهرَكَ إِلّا غَيرَ مُكتَرِثٍ مادامَ يَصحَبُ فيهِ روحَكَ البَدَنُ
فَما يَدومُ سُرورٌ ما سُرِرتَ بِهِ وَلا يَرُدُّ عَلَيكَ الفائِتَ الحَزَنُ

وقيل :

لا تَيأَسَنَّ من اِنفِراجِ شَديدَة قَد تَنجَلي الغَمَراتِ وَهيَ شَدائِدِ
كَم كُربَة اِقسَمَت اِن لَن تَنقَضي زالَت وَفَرجُها الجَليلُ الواحِدِ

وكن عفاً في تعاملك أريحياً في مخالطتك ، **لا شيء يرفع قدر المرء كالعفة** ، واحذر من أن يجرك لسانٌ بإسلوبه وبراعته ، وليكن عقلك حاضراً ، لا شاكاً في غيرك بل متحفز العقل نافذ البصيرة ، فطن التأمل ، قيل :

لا خَيرَ في وُدِّ اِمرِئٍ مُتَمَلِّقٍ حُلوِ اللِسانِ وَقَلبُهُ يَتَلَّهَبُ

إن الإنسان الفطن لا يغيب عنه شيء ، وإن غاب يستدرك أمر ، وإن فاته الاستدراك فتسعفه الحكمة في تناول الأمور ومجابهة الملمات ، وإدراك السؤدد والعلا .

لا يُدرِكُ المَجدَ إِلّا سَيِّدٌ فَطِنٌ لِما يَشُقُّ عَلى الساداتِ فَعّالُ

غير هذا عليه التجمل بالصبر ، وتسهيل الصعب ، وبسط الأمور .

لأستسهلن الصعب أو أدرك المنى فما انقادت الآمال إلا لصابر

وليكن أملك أو ما تطمح إليه عالياً ، فإن التعب واحد ، والمشقة نفسها التي تجابهها في الأمر الصغير هي التي تجابهك في الأمر العظيم ، فليكن طموحك كبيراً .

إِذا غامَرتَ في شَرَفٍ مَرومِ فَلا تَقنَع بِما دونَ النُجومِ
فَطَعمُ المَوتِ في أَمرٍ صَغيرٍ كَطَعمِ المَوتِ في أَمرٍ عَظيمِ

والإنسان يبلغ بإرادته الهدف الذي وضعه لنفسه مهما صعب ، فللإنسان قوة جبارة ومن الله التوفيق والسداد ، **لو تعلقت همة أحدكم في الثريا لنالها** ، ولكن يتفاوت الناس في بلوغ مآربهم وبغيتهم ، ذلك لما للمشقة من وقعٍ على النفس البشرية ، وعلى بعض الناس فقط الذين نحرص على أن لا نكون منهم ، أولئك الناس هم ضعاف النفوس وصغارها .

لَولا المَشَقَّةُ سادَ الناسُ كُلُّهُمُ　　　الجودُ يُفقِرُ وَالإِقدامُ قَتّالُ

هذه هي الحياة ، **فليس للحياة قيمة إلا إذا وجدنا فيها شيئاً نناضل من أجله .**

ومجمل القول أن كل ذلك يتركز في كلمة واحدة ، يضعها كل إنسان نصب عينيه ، وهي الهمة .

ما الجودُ عَن كَثرَةِ الأَموالِ وَالنَشَبِ　　　وَلا البَلاغَةُ في الإِكثارِ وَالخُطَبِ

وَلا الشَجاعَةُ عَن جِسمٍ وَلا جَلَدٍ　　　وَلا الإِمارَةُ إِرثٌ عَن أَبٍ فَأَبِ

لِكنَّها هِمَمٌ أَدَّت إِلى رِفَعٍ　　　وَكُلُّ ذلِكَ طَبعٌ غَيرُ مُكتَسَبِ

وَرُبَّ مَحمودِ فِعلٍ ما لَهُ حَسَبٌ　　　إِلّا صَنايِعُ جاءَتهُ مِن الأَدَبِ

فَجَلَّلَتهُ بِعِزٍّ بَعدَ مَخمَلَةٍ　　　وَرَتَّبَتهُ مِنَ الإِفضالِ في الرُتَبِ

وليتذكر أحدنا دائماً : " **ليس الشديد بالصرعة ...**" وعلى المرء أن يتمهل في أمر جلل ، وهو الحكم على أي شيء ، **لأن أندم على العفو خير من أن أندم على العقوبة** .

ولا تتوانى في تنفيذ شأنك لبلوغ سؤلك ، أو لأسداء معرف أو لدحض مكروه ؛ فلربما سبق عليه أحد فتلوم نفسك على تأخيره ، **لكل شيء رأس ، ورأس المعروف تعجيله** ، ولكل شيء عدو **وعدو الفن الجهل** ، والنية مطية المؤمن ، والأعمال بالنيات ، والنية أبلغ من العمل ، فلربما تبلغ المقصود بنيتك لا بعملك ، لذا **ما أرى عجزاً في البشر كالعجز عن النية** ، وكلٌ ميسر لما خلق له .

ما كلف الله نَفْساً فوقَ طَاقتِها　　　ولا تَجُود يدٌ إلاّ بما تَجِدُ

ولا تجعل الكبر يأخذك عن المشورة جانباً فلا خاب من استشار ، **ماهلك امرؤ عن مشورة ، ومن شاور كثر صوابه** ، فإذا شاورت عقلك وأهل المشورة فلا تتردد في

تفعيل قرارك وتنفيذه ؛ **فالمتردد في البدء يتأخر في الوصول** ، ولا تعيقك الصعاب واعلم انك لابد ملاقيها ، **ومتى بلغت المصائب حدها زالت** ، وليس هذا بالتخويف والتشاؤم بل هو واقع غلب على مجرياتنا ، غير أن **المتفائل يجعل الصعاب فرصاً تغتنم** . والمتصبر حليفه النجاح ؛ **فمن أسباب النجاح .... الصبر** .

جمِّلْ نفسك بالخلق الحسن كما تجمل مظهرك باللباس الحسن ، واحرص على أن تربي ابنك ونفسك التربية المثلى ، وهل أفضل من الأدب الحسن ؛ **ما نحل والد ولداً من نحل أفضل من أدب حسن** ، ولربما كانت البسمة مفتاح لما صعب عليك فتحه ، وعلامة على أدبك الحسن ، وعلى الرغم من هذا نجد أن **معظم ابتساماتنا تبدأ بابتسامة شخص آخر** ، فلما لا نكون نحن من يبادر بهذه النعمة ، وقد يقول قائل : التبسم يزيل المهابة فأجبه :

والجد يكسو الوجه منك مهابة   وكذا التبسم للقلوب ضياها
فاجعلن بينهما لنفسك مسلكاً   وانفذ بنفسك من شرور هواها

ولربما حال دون التبسم حائل كسوء تفاهم أو نحوه أو وشاية ونحوها ،حينئذٍ لابد للتسامح من موطئ قدم ، واعلم أن التسامح من السهولة ما يصعب على النفوس أن تبادر به ، إلا النفوس الكبار ، **فالنفوس الكبيرة وحدها تعرف كيف تسامح ..** ، ومن صلاح الشأن أن يبدأ الإنسان بنفسه قبل غيره ، من تقويم ونقدٍ وتصويب وملاحظة ،فإذا كان هذا فإنه عين الصواب . قيل :

يا أَيُّها الرَجُلُ المُعَلِّمُ غَيرَهُ   هَلا لِنَفسِكَ كانَ ذا التَعليمُ
فابدأ بِنَفسِكَ فانهَها عَن غَيِّها   فَإِذا اِنتَهَت عَنهُ فأنتَ حَكيمُ
فَهُناكَ يُقبَلُ ما تَقولُ وَيَهتَدي   بِالقَولِ منك وَينفَعُ التعليمُ
لا تَنهَ عَن خُلُقٍ وَتَأتِيَ مِثلَهُ   عارٌ عَلَيكَ إِذا فعلتَ عَظيمُ

واخلع أخي الكريم على نفسك ثوب التجريب وعدم القول إنه ليس بمقدورك فعل هذا أو القيام بذاك .

وإن حدثتك النفس إنك قادر   على ما حوت أيدي الرجال فجرِّبِ

غير أنه لا يتم شيء بغير تخطيط ، لذا نرى الفشل عند بعض الناس ، فهم لا يقصدون الفشل أو يتلذذون به ؛ لا يعقل هذا ، يفشلون في التخطيط السليم ، **الناس لا يخططون من أجل الفشل ولكنهم يفشلون في التخطيط** ، ومن أصول التخطيط والتنفيذ أن لا تجعل التشاؤم يتسرب إلى عقلك مطلقاً ، إذ لا فائدة تروها من وجوده ، فالمتشائم لا ينظر إلا بعين الفشل والسوء ، وبعين النقيصة ولا يرى من الليل إلا ظلامه ، فلا يرى النجوم والقمر والسمر والهدوء ، فإياك والمتشائم ، واهرب منه ما كان الهروب ممكناً ، والأفضل من الهروب أن تزيل تشاؤمه ما استطعت ، كي ينظر إلى الدنيا بعين الفأل ،قيل :

وَما اِنتِفاعُ أَخي الدُنيا بِناظِرِهِ   إِذا اِستَوَت عِندَهُ الأَنوارُ وَالظُلَمُ

،واجعل أيها القارئ من قطرة الماء مثالاً للتصميم ، فإن **نقطة الماء المستمرة تحفر عمق الصخرة** ، فالمثابرة والصبر أمران لا غنى لك عنهما لتحقيق مأربك وتكوين كيانك ، وبناء صرحك :

وما نيل المطالب بالتمني   ولكن تؤخذ الدنيا غلابا

ولا تعيقك الشدائد والمصاعب عن تحقيق أمانيك ، كي لا تبقى على هامش الحياة فتكون زائداً على الدنيا .

ومن لا يحبُّ صُعودَ الجبالِ   يَعِشْ أبَدَ الدَّهرِ بَيْنَ الحُفَرْ

وربما يرى بعض الذين تخونهم إرادتهم وفيصل حزمهم أن القعود عن الحاجات إنما هو عقل وروية .

يَرى الجُبَناءُ أَنَّ العَجزَ عَقلٌ   وَتِلكَ خَديعَةُ الطَبعِ اللَئيمِ

وكل ما يعترض الرجل يحتاج إلى شجاعة :

وَكُلُّ شَجاعَةٍ في المَرءِ تُغني   وَلا مِثلَ الشَجاعَةِ في الحَكيمِ

وأساس الشجاعة أن يكون المرء ذا تقوى ؛ فقد قيل :

واتق الله فتقوى الله ما   جاورت قلب امرئ إلا وصل

ليس من يقطع طرقاً بطلا   إنما من يتقي الله البطل

وثمة أمر في الأهمية غاية ، وهو الطموح ، فالطموح هو الذي يقودك إلى رتبٍ عليا ، لذا يجب أن يكون القلب بحجم الطموح كما **ينبغي للطموح أن يكون صلباً** ،

وقيل :

وَإِذا كانَتِ النُفوسُ كِباراً تَعِبَت في مُرادِها الأَجسامُ

وقيل :

مَن كانَ مَرعى عَزمِهِ وَهُمومِهِ رَوضُ الأَماني لَم يَزَل مَهزولا

وليتخلق الإنسان بأحسن الخلق وأقومه ،ولا خلق كالكرم والجود ، قيل :

يجود بالنفس إذ ضن البخيل بها والجود بالنفس أقصى غاية الجود

واعمل على أن يكون لك موطئ قدم في صنائع المعروف والخير ،ولا تتردد في أمر يقودك إلى المكرمات والإحسان

مَن يَفْعل الخيرَ لا يَعْدَم جَوازِيَه لا يَذْهبُ العُرْفُ بين الله والناس

وقيل أيضاً :

مَنْ كانَ للخَيرِ مَنّاعاً فليسَ لَهُ على الحَقِيقَةِ إخوانٌ وأخْدانُ

وهذا كله لا يأتي إلا من خلال النفوس السليمة ، والنفوس السليمة لا تكون إلا بالترفع عن النقائص ،

وَإِذا النُفوسُ تَطَوَّحَت في لَذَّةٍ كانَت جِنايَتُها عَلى الأَجسادِ

وحفظ اللسان نصف المعروف ، بل المعروف كلهوإذا لم تستطع أن تفيد غيرك بفعلٍ ما فاعمل على إفادته بتركك ما يضره :

إِنّا لَفي زَمَنٍ تَركُ القَبيحِ بِهِ مِن أَكثَرِ الناسِ إِحسانٌ وَإِجمالُ

فعليك بأن تجعل لكل كلمة ميزاناً تمر عليه ، **فمقتل الرجل بين فكيه** ، **ومن كثر كلامه قل احترامه** ، والصمت من شيم الأكارم ، فلا يقل أحدنا إلا ما هو خير وصحيح ، **من عادتي أن أسكت عما أجهله** ،ومن أروع ما قيل : لا أدري، **ونصف العلم قول لا أدري** ، ولتجعل أخي من عاداتك أن لا تشكو لأحدٍ ، فلا مفرج غير الله ، وثمة أشياء يحبب كتمانها **من كنوز البر كتمان المرض والمصائب والصدقة** ، والهموم لا تدوم

وَكُلُّ الحادِثاتِ إذا تَناهَت   فَموصولٌ بِها فَرَجٌ قَريبُ

ولا تسلم أمرك لحسن النوايا دائماً ، إذ إن النفوس ليست واحدة ، ولربما يؤخذ الانسان وهو في غفلة أو حسن نية ، فيجر إلى أمورٍ لم تكن لتحدث لو أنه كان منتبهاً وحذراً ، فالحذر مطلوب ،

وحسنُ ظَنِّكَ بالأيام مَعْجَزَةٌ   فظُنَّ شَرّاً وكنْ منها على وَجَلِ

وقيل : **النية الحسنة عذر التصرف الأحمق**

ولتكن لين الجانب فإن **من لانت كلمته وجبت محبته** ، ولا تؤخذ الأمور بغير الرفق **فاليد اللينة تقود الفيل بشعرة** ، **الناس رجلان: رجل ينام في الضوء .. ورجل يستيقظ في الظلام** ، ولا يحسن بك الترفع إلا على ما يحط من قدرك ، أما أن يكون ترفعك على غيرك لأجل مكانة أو مادة أو منصب أو لا شيء فهذا ربما ما يدخلك في قول القائل:

يَستَخشِنُ الخَزَّ حينَ يَلمُسُهُ   وَكانَ يُبرى بِظُفرِهِ القَلَمُ

فتبعد إذ ذاك عن أجلِّ الصفات وأرفعها ، وهي التواضع ، ومن هو المتواضع ، العالم متواضع ، القوي متواضع ، الكريم متواضع ، الشجاع كذلك ، الغني أيضاً ، كل هؤلاء وما كان في مسلكهم وسمتهم فهو متواضع ، أما المترفع الذي ينظر بتكبر وترفع وتعالي فهو كل صغير قدر يشعر بالنقيصة والدونية ، قليل العلم ، فارغ ، قيل :

ملأى السنابل ينحنين تواضع   والفارغات رؤوسهن شوامخ

فاعمل على أن تكون ممن يحني رأسه تواضعاً ؛ كي يرفعه الله عز وجل ، وأجمل ما يكون عليه المرء أن يكون ذا نفسٍ طيبة ، يتعايش مع كل ذي طبع ، والطبع إنما هو المسلك الذي نجد أنفسنا سائرين به ، ولو نظرنا الخلق لوجدنا أنهم يبذلون قصارى جهدهم ليرفعوا من شأنهم ، غير أن طباعهم التي جبلوا عليها تقودهم إلى غير مقصدهم ، فلنحرص على زرع الطبع القويم والصالح لأنفسنا ، فتسير عليه بكل انسياب .

وَكُلٌّ يَرى طُرقَ الشَجاعَةِ وَالنَدى   وَلَكِنَّ طَبعَ النَفسِ لِلنَفسِ قائِدُ

وطيب النفس وطهارة القلب والعفاف مراد كل ذي لب ،

والقلب أطهر ما يكون على التقى والنفس أطيب ما تراها شاكرة

وما هذا ببعيد عن أحد ، فقط اسع لأن تكون كما أردت ، خيِّراً عفيفاً ، **من يستعفف يعفه الله ومن يستغن يغنه الله ومن يتصبر يصبره الله**

واحرص على أن لا تظلم أحداً ؛ فهو ظلمات ، **نم مظلوماً ولا تنم ظالماً** ،

وأوف بالوعد ، وإذا كنت تعلم أنك لا تستطيع للوفاء بالوعد سبيلاً فلا تقطع الوعد وتكبل به نفسك ، فأنت حر ما لم تعد ، فوعد الحر دين عليه، **الوعود هي الشَّرك الذي يقع فيه الحمقى** ، واحرص على تدوين كل شيء ، خاصة الوعود ، فلربما نسيت وعداً ، ولآخر يظنك تتجاهله ، كما أن الكتاب هي الفن الذي يتقنه القليل ، **من يكتب يقرأ مرتين** ، وكل إنسان يسعى للنجاح في أموره ، ولكي تعرف النجاح انجح ، **النجاح أفصح الخطباء** ، وهو ليس من السهل الوصول إليه ، وليس من المحال تحقيقه ، **فالنجاح سلم لا تستطيع تسلقه ويداك في جيبك** ، واعرف من الناجح في حياته ، **إنه من يغلق فمه قبل أن يغلق الناس آذانهم ، ويفتح أذنيه قبل أن يفتح الناس أفواههم** ، ومن أسباب النجاح أداؤك للواجب بكل أمانة ، **من قام بواجبه لا يضيع**

إذا خفت أن تهلك ولم تسعفك الشجاعة على مواجهة الأمر

فاحرص على الموت توهب لك السلامة ، وما بدنيانا راحة ، غير أنه **إذا أردت أن لا تتعب .. اتعب** ، ويشقى الجسد في خدمة النفوس الأبية . قيل :

إذا كانت النفوس كباراً تعبت في مرادها الأجسامُ

فدبر الأمور ، خطط لها ، أحسم أمرك ، ودع التردد جانباً ، وإلا فلن تكون ذا رأي سديد :

إذا كنت ذا رأي فكن ذا عزيمةٍ

فإن فساد الرأي أن تترددا

وليحذوك الأمل فيما عزمت على إنجازه وإن كان صعب المنال ؛ فبالأمل تدرك الحاجات و**أفقر الناس من عاش بلا أمل** ، واحذر من لا يعرف الأمل إلى بواطنهم

دروباً ، فهم يقودونك إلى ما لا يحسدونك عليه ، يقال : **اتبع البوم يقودك إلى الخرائب** ، ولربما كان الأقرب منك يقودك إلى حيث لا تحب ، ولا أقرب من النفس لصاحبها ، **أحمق الناس من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني** ، كما أن الأمل ذاته ربما يكون مضرة ، وسترة لبعض الأنفس فقيل : **الأمل غذاء المنفيين** ، واسع لحفظ نفسك ، بحفظك خالقك ، **احفظ الله يحفظك** ، ولا حفظ كأن يكون إيمانك كاملاً ،ولا يكون ذلك إلا بالخلق الحسن ؛ **فأكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً** ، وللمؤمن ضالة ينشدها حيث كانت ، **فالحكمة ضالة المؤمن** ، واحرص على أن يغلب حياؤك إقبالك وإدبارك ؛ **الحياء لا يأتي إلا بخير** ، والكلمة الطيبة صدقة ، وقيل : **الأفواه الجائعة أحق بالصدقات من بيت الله الحرام** ، وانظر إلى غيرك وخذ من تجاربهم عظات ، **السعيد من وعظ بغيره** ، واحذر أن يأخذك للغرور بدنياك فسحتها ؛ **فالريح والنعمة لا يدومان** ، واحرص على نفسك ولا تكون إلا غيثاً أو ليثاً ، **فالسيد من يكون للأولياء كالغيث الغادي، وعلى الأعداء كالليث العادي** ، واجعل الصواب نصب عينيك ، وإن أخطأت فعد يغفر الناس لك ، **الصيت الحسن يغطي كل الأخطاء** ويكفي المخطئ حسن نيته الصواب ،

فالعمل سعي الأركان إلى الله، والنية سعي القلوب إلى الله، والقلب ملك والأركان جنود ولا يحارب الملك إلا بالجنود، ولا الجنود إلا بالملك. الدنيا كلها ظلمات إلا موضع العلم، والعلم كله هباء إلا موضع العمل، والعمل كله هباء إلا موضع الإخلاص، هذا هو العمل.

اعلم أن الكلمة الطيبة تفتح الأبواب الحديدية ، وإذا ما أردت أن تعالج أمراً ما فلا تعالجه بتشدد وتعصب **فالرفق لا يكون في شيء إلا زانه** ، وتحرى العمل الجالب للخيرات والدافع للمضرات ، واعلم أن الحياة الدنيا إلى فناء ؛ فاعمل لما بعدها **فالكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت و العاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني** ولا يخلو قلبك من أمرين أحدهما دنياك فعش عزيز النفس بها ، وآخرتك لتي إليها معادك **فالله تعالى يبغض كل فارغ من أعمال الدنيا**

والآخرة ، وقد أعطاك الله العافية والصحة ؛ فلا تبخل على نفسك بهما ، واشغل نفسك بما يغنيك عوده ؛ **إن الله تعالى يبغض العبد الصحيح الفارغ**

وثمة حلاوة لا يذوقها إلا من كان الحب مسلكه ، وهي حب الناس ؛ **أن تحب كل الناس شيء جميل فحاول تجربته** ، واحذر من أن تأخذك الفاقة إلى حيث المذلة ، فلا عيب في الفقر ، وإذا فقدت المال فلا تفقد عزتك ، **وإن كان جيبك فارغاً فحاول أن يكون رأسك شامخاً** ، أما أفعالك فلا يلام غيرك عليها ، فلسان العاقل يقول : **أنا مسؤول عن عقلي .. إذن أنا مسؤول عن أفعالي** ولا تجعل التسويف يفوق عملك ؛ **أنذرتكم سوف ؛ فإنها جند من جنود إبليس** . وتوخ أن تكون في منأى عن دخولك فيما لا يخصك ولا منه لك مصلحة ولا نافع ، واجعل هذه كلمة " **بخلاف ما فيك** " نصب عينيك ؛ فقد سأل رجلٌ الأحنف قائلاً : بم سدت قومك، وما أنت بأشرفهم بيتاً، ولا أصبحهم وجهاً، ولا أحسنهم خلقاً؟ فقال الأحنف : بخلاف ما فيك، قال: وما ذاك؟ قال: تركي من أمرك ما لا يعنيني، كما عناك من أمري ما لا يعنيك .

احرص على استغلال وقتك وجدك ، ولا تجعل للكسل إليك منفذاً ، وعلى قدر جدك يكون إنجازك .

بقدر الجد تكتسب المعالي ومن طلب العلا سهر الليالي

ووقوفك بوجه الشدائد إنما هو ساعة صبر ، **بصبر ساعة قالها عنترة** عندما قال له أحدهم : كيف تقتل الرجال ولا يقتلونك ، قال له ضع إصبعك في فمي ، ووضع إصبعه في فمه ، وقال : لُكْ اصبعي وألوكُ إصبعك ، ففعلا وصرخ الرجل ؛ فقال له عنترة : بصبر ساعة ، لو لم تصرخ أنت لصرخت أنا .

واعلم أنه لا كيان بلا نظام ، لكي تشيد صرحك ، وتقيم أمرك فلا مناص من ترتيب أمرك ، وتنظيم شؤونك ، وهكذا الأمر ، **بني الكون على النظام** ، وتعلم في هذه الدنيا من أي شيء ، فاجعل من الحجر معلماً لك يعلمك كيف يكون عزمك ، ومن السماء كيف يكون قلبك ، ومن الماء كيف يكون تدبيرك ، **تعلم ولو من خصمك** ، وليكن عقلك متحمساً في شأن الخير والصلاح ، **فحماس العقل لا يشيب** ، وتزود من

دقيقتك هذه للدقيقة الآتية و **خذ من يومك لغدك** وإياك والخجل من السؤال فمن يسأل فهو غبي لخمس دقائق لا أكثر ، ومن لا يسأل غبي طول عمره ، فاختر ما تكون ، **وخير لك أن تسأل مرتين من أن تخطئ مرة** واجعل مخافة الله الحكمة التي تنشدها والتي تطلبها دائماً ف **رأس الحكمة مخافة الله** ، وستلاقي في مسيرتك من يشدك إلى الخلف فلا تأبه وإن قيل لك :

ولو أن بان خلفه هادم كفى

فكيف ببانٍ خلفه ألف هادم

فقل: أنا الباني ولكني بعزم ألف هادم ، واحذر من أمرين فهما شر ما في الرجل ، وهما منقصة لكل من حمل الرجولة على كاهله ، وهما البخل والجبن **فشر أخلاق الرجال البخل والجبن** . واعمل بقول القائل : **صَبَرتُ نَفسي عِندَ أَهوالِها**

وَقُلتُ مِن هَبوَتِها لا بَراح

إِمّا فَتىً نالَ العُلى فَاِشتَفى أَو بَطَلٌ ذاقَ الرَدى فَاِستَراح

ولا تنس نصيبك من دنياك ، ولا تهمل معادك وآخرتك **عش لدنياك كأنك تعيش دوماً واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً** ، أما العزم فاحرص على أن تكون ممن عزائمهم قوية ، هممهم عالية ؛ لتكون غاياتك على مستوى هممك وعزمك ، ؛ إذ لو كان عزمك صغيراً فلن تتجاوز غاياتك ذلك العزم قدراً ، وكذا مكارمك وأعطياتك إنما تقاس على قدر كرمك وعلو نفسك ، فقد قيل :

عَلى قَدرِ أَهلِ العَزمِ تَأتي العَزائِمُ

وَتَأتي عَلى قَدرِ الكِرامِ المَكارِمُ

أما صغار النفوس فإن صغار الأمور كبيرة في عيونه وكذا كبار النفوس إنما تصغر في عينهم عظام الأمور ، فعليك أن تكبر أن تكون صغيراً فقد قيل :

وَتَعظُمُ في عَينِ الصَغيرِ صِغارُها

وَتَصغُرُ في عَينِ العَظيمِ العَظائِمُ

وما عمر الإنسان قياساً بما عاشه من سنين وإن كانت كثيرة ، غير أننا **عندما نعيش لأنفسنا تصبح أعمارنا قصيرة ، وعندما نعيش لأنفسنا وللآخرين تمتد أعمارنا**

إلى ما بعد موتنا . فعلى الإنسان أن لا يعيش لنفسه فحسب بل للآخرين **ما استحق أن يولد من عاش لنفسه**

والنجاح لا يأتي بدون جهد ، ولا يجنى من غير زرع ، وإذا ما زرعته فإنك جانيه ، **لا شك من زرع النجاح جناه** ، والنجاح لا يأتي إلا من النفوس القوية ، التي تتحلى بالإرادة وقوة العزم ، ولربما رأى أحد أن القوة هي أن تطيح بخصمك ، ذاك جانب من القوة ، **ليس الشديد بالصرعة .. إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب** ، أي بمعنى أن القوة في النفس والتحكم بها ، وإذا ما تحكمت بنفسك وكنت سيدها فإن ذلك يؤهلك لتكون سيداً على العالم ، ذلك بحفظك نفسك ، وتحكمك بتصرفك ، **لتكون سيد العالم كن سيد نفسك** ، وسُئِلَ أحدُهم : بم سدت قومك ؟ قال : **لم أخاصم أحداً إلا تركت للصلح موضعاً** ،ومما يعرف به السيد تركه الشتم واللعن وتفاتف الأمور ونقائص النفوس ومعاداة الخلق من غير حق : فقد قال أحد كبار النفوس : **ما شاتمت رجلاً مذ كنت رجلاً لأني لم أشاتم إلا أحد رجلين إما كريم، فأنا أحق أن أجله، وإما لئيم فأنا أولى أن أرفع نفسي عنه**. وحسب المرء أن يكف أذاه عن غيره **فمن رزقه الله مالاً فبذل معروفه وكف أذاه فذلك السيد** ، ومما يعرف به السيد رجحان العقل واكتماله ، وقد قيل :

لَيسَ الغَبِيُّ بِسَيِّدٍ في قَومِهِ　　　لَكِنَّ سَيِّدَ قَومِهِ المُتَغابي

وتبصر طريقك أخي القارئ إلى شيء غاية في الأهمية في حياتنا ، هو ما يسعى لتحقيقه الأخيار ، هو الإحسان ، وله أوجه متعددة ، وأياً كان وجه الإحسان فإنه مرغوب ومحبب عند أهل الفلاح والتوفيق ، وقديماً قيل : **أحسن كما تحب أن يحسن إليك** ، ولإحسان ثمرة كل عمل رفيع ، إذن ليكن لك أجر عن عملك وهو الإحسان ، **لا أجر لمن لا حسنة له** ، وليغتنم أحدنا فرصه السانحة لبسط يد الإحسان ، فلربما لا يكون بمقدورك فعله لعائقٍ ما ،

أحسن إذا كانَ إمكان وَمَقدِرَة　　　فَالغافِلونَ عَن الإحسان عُميان

وَكُن إلى فُرصة الإمكان مُنتَهِزاً　　　فَلا يَدومُ عَلى الإنسان إمكان

ولا إحسان كإحسانك إلى نفسك ؛ إذ بإحسانك لنفسك تحسن للناس أجمعين ، ولك الأمر في ذلك ، ناهيك عن أنه **من لا يحسن إلى نفسه لا يحسن إلى غيره** ، وأكثر ما يبتغيه الإنسان من أخيه هو الإحسان ، فبه يُسلم لك الإنسانُ محاسن ظنه وتنقاد لك مباهجه ؛ فقد قيل :

أحسِنْ إلى النّاسِ تَستَعبِدْ قُلوبَهُمُ فطالَما استبَعدَ الإنسانَ إحسانُ

ومن ألوان الإحسان وصنوفه العفو والمغفرة عن زلاتٍ تعرضت لها ،

وإنْ أساءَ مُسيءٌ فلْيَكنْ لكَ في عُروضِ زَلَّتِهِ صَفْحٌ وغُفرانُ

ولا تتوقع أن يضيع صنيعٌ ما عملته وإن قل ذلك الصنيع والإحسان ،

فمهما يصغر الإحسان فإنه لا يضيع .

ثمة أمور أخي القارئ تتحكم في مسارنا وتوجهه ، إما إلى نجاحٍ وتفوقٍ ، أو إلى مقابلِ هذا وهو الفشلُ والانحسارُ ، ومن أهم هذه الأمور " الإرادة " **فالإدارة سر النجاح** ، ولربما تساءل أحد : هل يكفي الرأي السديد بغيرها ؟ - أي بغير الإرادة - فأجبه بأنه **لا رأي لمن لا إرادة له** ، وإذا ما حددت وجهتك في أمرٍ ما فإن إرادتك وإصرارك هما أولُ زادكَ ، فقد قيل : **الإرادة نصف الطريق** ، وإن صادف وتعثرت نتيجة أمرٍ ما أو عائق طبيعي أو مفتعل من غيرك فإن هذا مما يزيدك إصراراً ورغبةً في الصمود والوقوف ؛ **فليس العيب أن تقع ؛ إنما أن تبقى مكانك** ، فامضي في طريقك ، **اسع ولا ترجع بخفي حنين** ، واجعل للإعتداد بنفسك في نفسك موضعاًّ ، واعتمد في شؤونك على نفسك ، لا على غيرك ؛ فقد قيل قديماً : **من يمتطي جمل جاره لا يصل إلى داره** ، وقيل أيضاً : **من اتكل على زاد غيره طال جوعه** ، فالزم نفسك وساعد غيرك

وكُنْ على الدَّهرِ مِعواناً لذي أمَلٍ يَرجو نَداكَ فإنَّ الحُرَّ مِعْوانُ وإن احتجت من غيرك شيئاً فاطلبه ، ولا يكن ديدنك طلب الناس ، حتى لا تستطيع عمل شيءٍ إلا بمساعدة غيرك ودعمه ، واعمل على أن تكون أنت الذي يتحدث عنه بيت الشعر التالي :

وإنّما رجلُ الدُّنيا وواحِدُها من لا يعوِّلُ في الدُّنيا على رَجُلِ

فأنت لا تستطيع أن تعتمد على الناس في أمورك وخاصة فيما عظم منها

وَحيدٌ مِنَ الخُلّانِ في كُلِّ بَلدَةٍ

إِذا عَظُمَ المَطلوبُ قَلَّ المُساعِدُ

فإذا كان ذاك فاجعل الاعتماد على نفسك طريقك لنجاحك وتفوقك ،ولن يتسنى لك ذلك بغير عزمٍ قويٍ للشدائد ، ولربما خالط عزمك شيءٌ من الشك في وصولك أو تحقيقك المنى أو شككت في نفع هذا أو غير ذلك **فإذا شككت فاجزم ، وإذا استوضحت فاعزم** ، وثمة كلمة لا توجد في قاموس أهل العزم وهي : " الفشل " فعندهم **أنه لا وجود لكلمة فشل** ، وإذا لم تجد كلمة الفشل فإنك لن تر للمستحيل عندهم وجوداً ، فلسان حالهم يقول : **لا للمستحيل ، ولا مستحيل عند أهل العزيمة** ، ولا تكن كمن يفتخر بعزمه وقوته ، وجعل لنفسه مقياساً لا يقاس به العزم ، ولا تحدد به القوة كما في قول أحدهم وإن كان ذا طابع "كوميدي" :

ولي عزم يشق الماء شقاً ويكسر بيضتين على التوالي

وفي الهيجاء ما جربت نفسي ولكن في الهزيمة كالغزال

ولتضع نصب عينيك قول الشاعر :

تَهونُ عَلَينا في المَعالي نُفوسُنا

وَمَن خَطَبَ الحَسناءَ لَم يُغلِها المَهرُ

وقول القائل :

تسلح بالإرادة للمعالي وبالإصرار للرتب العوالي
وكن للسبق ذا قلبٍ قوي عصي للشدائد لا يبالي
إرادتنا وعزمٌ واقتدارٌ وذا الإصرار شرط للمعالي

فلا التمني يبلغنا الأماني ولا الضعف يؤهلنا لمجابهة الشدائد ، **فإياك والإتكال على المنى فإنها بضائع الموتى** ، وتخلق بقول القائل :

فإنه **لا نحقق الأعمال بالتمنيات .... إنما بالإرادة نصنع المعجزات**

ولربما تعرض أحدنا للفشل في أمرٍ ما ، ولكن لا يعني هذا أن يقف مكتوف الأيدي لذلك ، **فأسوأ من الفاشل من لا يحاول النجاح** ، ولتعلم أن **التعثر يعلم المشي**

، **وليس سقوط المرء فشلاً إنما الفشل أن يبقى حيث سقط** ، ولكي تجد نفسك بعيداً عن الفشل ، على قمة النجاح **انظر إلى الأمام دائماً فإنك لا ترى الفشل** .

أخي القارئ هنالك شخص آخر لا يرى الفشل واحذر أن تكون أنت هو ، لأنه ليس كل من لا يرى الفشل هو ناجح ، **فالشخص الوحيد الذي لا يعرف طعم الفشل هو الذي يعيش بلا هدف** ، فاحذر أن لا يكون لك الهدف الذي تعيش من أجله .

وتوجه إلى الحياة بقلب ذي شغف للانطلاق بالحياة ، فإن لم تفعل فإن الحياة لا تنتظر من لا يبحر فيها بقلبه وعمله وإخلاصه

ألا انهضْ وسِرْ في سبيلِ الحَيَاةِ فمنْ نامَ لم تَنْتَظِرْهُ الحَيَاهْ

ولك في هذا عوائق كثيرة ، أولها وأهمها : " نفسك " .

وإذا سأل سائل : لم النفس أهم العوائق ؟، أجبه بأن **الذي ينتصر على غيره قوي .. لكن الذي ينتصر على نفسه أقوى** ، والنفس برغم قوتها فإنها تنقاد لصاحبها إذا داوم على تقويمها و تهذيبها ، ولن تعوزك الحيلة وتعجزك القدرة على قيادة نفسك .

وَالنَفسُ راغِبَةٌ إِذا رَغَّبتَها فَإِذا تُرَدُّ إِلى قَليلٍ تَقنَعُ

وإذا ما انقدت أنت للنفس فإنك ستكون لها العبد الذي لا يخرج عن أمر سيده .

قيل :

أَطَعتُ مَطامِعي فَاِستَعبَدَتني وَلَو أَنّي قَنِعتُ لَكُنتُ حُرّا

والمطامع مصدرها النفس واتباعها لما يشقيها ، فلكي تنطلق في حياتك تحكم بنفسك وقدها إلى ما يزكيك ويزكيها ، وانشد أهدافا لنفسك ، ولا تجعلها صغيرة فتصغر نفسك بصغرها ، والتعب في نيل الأهداف واحد ، سواءًا كان الهدف والمطمح صغيراً أم كبيراً ، فلن تدركه بغير جد وكد وتعب ؛ فلما لا يكون الطموح كبيراً ، يستحق تعبك وتضحياتك .

إذا غامَرتَ في شَرَفٍ مَرومٍ
فَلا تَقنَعْ بِما دونَ النُجومِ
فَطَعمُ المَوتِ في أَمرٍ صَغيرٍ
كَطَعمِ المَوتِ في أَمرٍ عَظيمِ

ويصاحب سعيك إلى هدفك وسؤلك الصبر والمثابرة في طلبه ؛ فقد قيل :

إني رأيت وفي الأيام تجربة للصبر عاقبة محمودة الأثر

وقل من جد في أمر يحاوله واستصحب الصبر إلا فاز بالظفر

وهل يظن أحدٌ أن الأماني تدرك بغير التعب والمشقة ؟ لا .. بل لا تدرك إلا بالنصب والتعب والسهر . فقيل :

وَما نَيلُ المَطالِبِ بِالتَمَنّي وَلَكِن تُؤخَذُ الدُنيا غِلابا

وهل بلغ أحد مناه بغير ما قيل ؟

بَصُرتَ بِالراحَةِ الكُبرى فَلَم تَرَها تُنالُ إِلّا عَلى جِسرٍ مِنَ التَعَبِ

وليست الراحة الكبرى أن يكون المرء في راحة بلا عمل ، إنما يقصد بها ما يبلغه الرجل من الراحة بفضل بلوغه مبتغاه وهدفه ، أما من عكف عن العمل فلا راحة له ؛ **من تعود الكسل ومال إلى الراحة .. فقد الراحة** ، ولن يصل إلى كينونة المجد إلا من شحذ همته وطار إلى المجد والفخار بجناح العمل ، وزاده قوةُ عزيمتِهِ ؛جاعلاً من الصعاب التي تقف في طريقه سلماً يصل به إلى ما يطلبه ؛ فقد قيل :

لن يدرك المجد من خارت عزائمه

عند الصعاب ألا فلتشحذِ الهممُ

والمثابرة أساس به تدرك مبتغاك ، والتواني مما يبعدك عنه فاحذره

وَلا أَدرك الحاجاتِ مِثلُ مثابِرٍ وَلا عاق مَنها النَجح مِثل ثَوانِ

وثمة أمر مهم ؛ فقد يبلغ المرء بعض شأنه فيأخذه الغرور والتوهم بأنه قد بلغ أمره كله ، فيتسرب إليه ما يؤدي إلى ترك العمل والمثابرة والجد ، وهو شعوره بانتهاء السبق وفوزه . فقل له :

ما الفوز بالسبق أن تزهو بأوله إن المفازة أن بالزهو يختتم

والأمر الأهم عند كل شأن تود إتمامه أخي القارئ هو " الخطوة الأولى " **فلكل شيء خطوته الأولى ... فأقدم** .

ولا شك أن الخطوة الأولى تحتاج إلى الشجاعة كي يخطوها المقدم على أمرٍ ، فمن مرادفات الشجاع " المقدام " أي الذي يقدم على أي شيء ، لا يخاف المواجهة ، ولكن ما الشجاعة التي يجب أن يتحلى بها المرء ؟ ، وكيف يكون المرء شجاعاًً ؟

إن لكلٍ منا رأيه الخاص في الشجاعة ، وتعريفه الذي يقيد به حدود الشجاعة ومعالمها ، ولكن يتحكم بنا أمرٌ وهو طباعنا التي نشأنا عليها ، فما وافق منها الشجاعة أقمناه ، وما جانبها تركناه ، قال الشاعر :

وَكُلٌّ يَرى طُرقَ الشَجاعَةِ وَالنَدى

وَلَكِنَّ طَبعَ النَفسِ لِلنَفسِ قائِدُ

وأقصى ما يخاف منه المرء زواله عن هذه الدنيا ، بيد أنه هل من خالدٍ بها ؟ ، محصنٌ بوجه الموت والفناء ، وهل إذا جبن المرء سيقف الجبنُ حائلاً دون الموت ؟ ، قال الشاعر :

وَإِذا لَم يَكُن مِنَ المَوتِ بُدٌّ

فَمِنَ العَجزِ أَن تَكونَ جَبانا

ويرى بعضهم أن قعودهم دون صنائع الشجعان إنما هو العقل والتأني والتروي .

قيل :

يَرى الجُبَناءُ أَنَّ العَجزَ عَقلٌ

وَتِلكَ خَديعَةُ الطَبعِ اللَئيمِ

ولتعلم أخي أن **الشجاعة عزيزة يضعها الله فيمن شاء من عباده ، إن الله يحب الشجاعة ولو على قتل حية**

والشجاعة تورث عزة النفس وكرامتها ؛ إذ لا كرامة لمن لا يتحلى بالشجاعة في مواطن الشجاعة والإقدام ، وأنى يعيش المرء بلا عزة نفس ، قال الشاعر :

عِش عَزيزاً أَو مُت وَأَنتَ كَريمٌ بَينَ طَعنِ القَنا وَخَفقِ البُنودِ
لا كَما قَد حَيّتَ غَيرَ حَميدٍ وَإِذا مُتَّ مُتَّ غَيرَ فَقيدِ
فَاِطلُبِ العِزَّ في لَظى وَذَرِ الذُل لَ وَلَو كانَ في جِنانِ الخُلودِ
لا بِقَومي شَرُفتُ بَل شَرُفوا بي وَبِنَفسي فَخَرتُ لا بِجُدودي

وقال آخر :

فلا تَتَّكِلْ إلا على ما فعلتَهُ ولا تحسبنَّ المجدَ يُورَثُ بالنسبْ

فليس يسودُ المرءُ إلا بنفسه وإن عَدَّ آباءً كراماً ذوي حسبْ

وقال غيره :

لا تَسقِني ماءَ الحَياةِ بِذِلَّةٍ بَل فَاسقِني بِالعِزِّ كَأسَ الحَنظَلِ

ماءُ الحَياةِ بِذِلَّةٍ كَجَهَنَّمٍ وَجَهَنَّمٌ بِالعِزِّ أَطيَبُ مَنزِلِ

وإليك ما يغفل عنه كثير من الناس ، وإن كانوا يدركونه ، وهو أنه من يهن نفسه لن تجد له من مكرم ، ولن يشعر هو بذل الهوان ؛ إذ إنه ميت الإحساس بذلك ، قال الشاعر :

مَن يَهُن يَسهُلِ الهَوانُ عَلَيهِ ما لِجُــــرحٍ بِمَيِّتٍ إيلامُ

وما الوصول لعزة النفس وارتفاعها عن ما يشينها بسهل البلوغ ؛ **الرأس المرفوع بشمم يتطلب نفساً عالية الإباء** ، وكن كما قال الشاعر مفتخراً بنفسه وقومه ، وما الافتخار بمجرد العبارات فقط ؛ إنما بالعمل والخلق القويم وبإيثار النفس وبرفعها عن الدنيء من الفعل ، قال الشاعر :

وَنَحنُ أُناسٌ لا تَوَسُّطَ عِندَنا لَنا الصَدرُ دونَ العالَمينَ أَوِ القَبرُ أَعَزُّ بَني الدُنيا وَأَعلى ذَوي العُلا وَأَكرَمُ مَن فَوقَ التُرابِ وَلا فَخرُ

وثمة أمور إذا لم تخالط نفس المرء فهو محمود ؛ فقد قال الشاعر :

إِذا المَرءُ لَم يُدنَس مِنَ اللُؤمِ عِرضُهُ فَكُلُّ رِداءٍ يَرتَـــديهِ جَمــــيلُ

وَإِن هُوَ لَم يَحمِل عَلى النَفسِ ضَيمَها فَلَيسَ إِلـــــى حُسنِ الثَناءِ سَبيلُ

ومما يفخر به الإنسان ، ومما يثني المرء على أخيه به هو الكرم والعطاء والبذل .

مَنْ جادَ بالمالِ مالَ النَّاسُ قاطِبَةٌ إِلَيهِ والمالُ للإنسانِ فَتّانُ

فالناس عادةً يميلون إلى من هو كثير العطاء ، ليس بالضرورة طمعاً في ما عنده ؛ بل حباً له ، فهو متخلق بصفة يحبها الله ورسوله وهي الكرم ، وقد قال الشاعر :

وَكُلُّ اِمرِئٍ يولي الجَميلَ مُحَبَّبٌ وَكُلُّ مَكانٍ يُنبِتُ العِزَّ طَيِّبُ

وما يقف حيلولة بين البذل والعطاء هو النفس ، فإن النفس مجبولة على مجانبة فعل الخير إلا من هدى الله ، فهي الأمارة بالسوء ، **ومن كرمت عليه نفسه هان عليه ماله** .

وهناك ثمرتان و أمران ، **ثمرة القناعة الراحة** ، **وثمرة التواضع المحبة** ، وقيل في ذلك :

فَاقنَع فَفي بَعضِ القَناعَةِ راحَةٌ وَاليَأسُ مِمّا فاتَ فَهوَ المَطلَبُ
وَإِذا طَمِعتَ كُسيتَ ثَوبَ مَذَلَّةٍ فَلَقَد كُسِي ثَوبَ المَذَلَّةِ أَشعَبُ

ومن يبحث عن السعادة فإن **القناعة منتهى السعادة** ؛ ذلك أن الغنى غنى النفس ، قيل : **ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس** ، وعلى الإنسان أن يحمل على عاتقه أخاه الإنسان ، تميط عن طريقه العوائق من صفات غير محمودة وما إلى ذلك ، ومعاملة الصديق من الأمور التي هي من الأهمية بمكان ، ولذا قيل : **عاتب صديقك بالإحسان إليه واردد شره بالإنعام عليه** ، وثمة من يكرر : " اتق شر من أحسنت إليه " ولم يدر أن لها تكملة تتم معناها وتظهره بالصورة المثلى ، والعبارة كاملة هي : **" اتق شر من أحسنت إليه بدوام الإحسان إليه "** وهناك من لا يسمع لصديقه نصحاً ولا عظة ، فليحذر كلٌ منا أن يدخل ضمن من قال فيهم الشاعر :

لَقَد أَسمَعتَ لَو نادَيتَ حَياً وَلَكِن لا حَياةَ لِمَن تُنادي
وَلَو نار نفخت بِها أَضاءَت وَلَكِن أَنتَ تَنفخُ في رَمادِ

ومعاملة الناس لا تقل أهمية عن غيرهم ، من أصدقاء وأهل وغير ذلك ، ولها قواعد كثير ، ومن حدودها :

لا تتطاول على من فوقك فيستخف بك من دونك ، كما أنه **لا تفرح بسقوط غيرك فلا تدري ما تضمر لك الأيام** ، ولتجعل نهجك خير الأمور ، فقد قيل : **خير الأمور الوسط** . وقيل : **تكمن الفضيلة في الوسط** ، ولتكن مرآة أخيك فقد **دخل بعضهم على إبراهيم بن صالح فقال له: عظني. فقال له الولي: بلغني رحمك الله أن أعمال الأحياء تعرض على أقاربهم الموتى، فانظر ماذا تعرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم من عملك. فبكى إبراهيم حتى سالت دموعه.**

ولا يخرج بعض المحيطين بك عما يلي **أولاً يتجاهلونك ، ثم يسخرون منك ، ثم يقاتلونك ، ثم تفوز أنت** ، والناس صنفان ، متفائلٌ ومتشائمٌ ،
فالمتشائم يرى الصعوبة في كلّ فرصة ، أما المتفائل فيرى الفرصة في كلّ صعوبة .
وبعض الناس لهم المتعة شيء آخر ؛ فهم يرون أن هناك **نوع من المتعة وهو أن تفعل المستحيل** ، وبين البشر من هو موهوب ومن هو عبقري ، فمن هذا ومن ذاك ؟ **الموهوب يفعل ما يستطيع فعله، العبقري يفعل ما يجب فعله.**
وقد قال أحد الناجحين **: يومياً أستيقظ وأبحث في قائمة فوربس لأغنياء أمريكا. إذا لم اجد اسمي، أذهب للعمل** ، ولكي تكون لك المكانة بين الجموع فإن الأمر الأساسي هو أن تحسن عملك وتتقنه ، **فحاول المستحيل لكي تحسّن عملك** ، وهناك ممن تصاحبهم أناس يجعلون نصب أعينهم الحد من طموحاتك ؛ **فابق بعيدًا عن الناس الذين يحاولون أن يستهينوا بطموحاتك** .ولم يفعلون ذلك ؟ لأنهم صغار النفوس ، فالصغيرون يفعلون ذلك دائما ، لكنّ العظام فعلاً يجعلونك تشعر أنك أيضاً يمكن أن تصبح عظيما، فاختر من تخالط